الدراسات القرآنية عند حميد الدين الفراهي

سيرت بتول *

إنّ الأمام الفراهي كان من مبار المفسرين في الهند، وكان من عباقرة الإسلام، الذي وفقه الله أن يلعب دورا هاما في خدمة الإسلام والمسلمين، وكانت له يد طولى في مجال التفسير باللغة العربية وكذلك باللغة الأردية والفارسية، وكانت له مهارة تامة في تفسير الآيات بالآيات وكان قديرا على الفي التفسير وعلومه ومصادر. وفد كان ذا كفاءات عالية فيقول السيد سليمان الندوي:

"كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في طلب مرضاة الله."

نبذة من حياته:

ولد الإمام عبد الجميد بن عبد الكريم الفراهي رحمه الله صباح يوم الأربعاء في السادس من جمادي الآخرة سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٣م في قرية "فريها" من قرى أعظم كره، يو بي، الهند، في أسرة كريمة.١ كانت لها مكانة مرموقة في قلوب الناس بنسبها وعلمها ومكانتها الاجتماعية والثقافية، فكان أهلها من أعيان المنطقة ووجهاتها، فترعرع الفراهي في طل رخاء ونعمة. توفي رحمه الله -

* باحثة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

وهو يتلو القرآن الكريم – في التاسع عشر من جمادي الآخرة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف (١٣٤٩هـ).

وكان يتقن أربع لغات: العربية والفارسية والإنكليزية والأردية، فألف فيها نثرا وشعرا، وتعلم اللغة العبرانية، واستفاد منها في تفسيره وفي كتب أخرى، أما العربية فكان فيها إمام بلا منازع، وكانت له قدرة عظيمة، وملكة غريبة في التصنيف في كل علم من علومها من لغة، ونحو، وبلاغة، وتحقيقات واجتهادات واستدراكات على الأئمة، كان العلامة عالما بالعلوم العقلية والنقلية وكان مفكرا عظيما ومحققا جليلا وناقدا بصيرا وأديبا بارعا، لما تدل عليه جميع مصنفاته العلمية والأدبية والقرآنية بكل الوضوح.

إنتاجه في الدراسات القرآنية:

إنّ حميد الدين الفراهي يعد من كبار علماء القرآن الذين عرفتهم الأمة الإسلامية في القرن العشرين، وذلك لأنه جعل دراسة القرآن الكريم وتحقيق مفرداته وأساليبه والكشف عن رموزه وأسراره المحور الرئيسي لجميع أعماله العلمية والأدبية والدينية، وقضى حولي أربعين ربيعا من عمره في روضة القرآن الكريم، وبيض سواد شعره في تدبر آياته وجمع علومه وحل معضلاته وقنص شوارده وهكذا أنه أدّى حق التدبر والتفكير في القرآن العظيم، وأعطى منهجا جديدا لفهمه وتفسيره، حتى أصبح اسمه رمزا للبحوث القرآنية في هذا العصر، فله تصنيفات هامة حول القرآن، وكلها تتسم بالجدة والإصالة والابتكار، وتدل على غزارة علمه وعمق فكره واطلاعه الواسع على العلوم القرآنية والكتب السماوية الأخرى وقدرته العجيبة في الأدب العربي القديم.

١- نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان:

هو من أهم مؤلفات العلامة عبد الحميد الفراهي في التفسير، وهو كتابه الشهير الذي أصبح يعرف به، ولكن من الأسف أنه لم يكمله. يشتمل على تفسير سورة القرآن الآتية: الفاتحة، الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون، اللهب، الإخلاص، البقرة.[٢]

إنه من أحسن مؤلفات الفراهي في تفسير القرآن الكريم باللغة العربية بأسلوب متين رزين. وهو من أروع التفاسير وأغزرها مادة، ومعنى، وفكرا وبذل لإعداده وترتيبه سنين فجاء شيء بالإبداعات والنوادر والمهمات ويستحق الأستاذ الإمام بكل أعجاب وتقدير لإنجازاته العلمية، كما ذكر في فاتحة نظام القرآن: "وكان كتاب الله أحب الكتب إليه، والنظر فيه ألذ من كل ما في الدنيا".[٣] وكان يعكف كل يوم بعد قيام الليل على تدبر القرآن الكريم، ثم يشتغل بالبحث والنظر والتأليف، ويستمر على ذلك بعد صلاة الفجر إلى الساعة التاسع صباحا وظل ذلك دأبه أكثر من ثلاثين سنة.

فقد اهتم في تفسيره بأن القرآن يفسر بعضه بعضا وهو الأصل عند الفراهي، ويبين فيه أن القرآن بآياته وسوره مترابط ترابطا وثيقا بما قبلها وبعدها، ومنظما مربوطا من حيث المعاني والكلمات والموضوعات، وركز جهوده على هذه الناحية فعين المعنى المقصود في ضوء العمود وسياق الآيات وسياقها ونظائرها.

ويقول الفراهي: فقد اجتهدت في هذا الكتاب بحول الله وبتوفيقه أن أكشف عن نظام آيات القرآن الكريم وأفسره تفسيرا ساذجا غير خالط به من

اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا، فالتمست معنى الآيات من أخواتها وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها، ومن نفسي سياقها، ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل، ففي أمر النظام تدليت في غور الكلام بالبصر النافذ.[٤]

وأما طريقته في تأليفه فقد تختلف عن طريقة المفسرين الآخرين، لأنه لم يبدأ من أول القرآن كما فعل المفسرون الآخرون، بل بدأ من السور التي كانت فيها النظام واضحا جليا لكي يتضح للناس هذا الجانب الأهم من كتاب الله ويقتنعوا بمناهجه التفسيرية، وكما أنه فسر أولا السور القصار التي تدعوا إلى الإيمان والتوحيد والرسالة والمعاد وتنذر الناس من عاقبة العناد والكفر، أو كما قيل أنه إذا رأى هذه السور القصار التي كانت مشكلة في نظامها وأساليبها على كثير من المفسرين فوضع أمامهم أن قصار السور ليست بأقل من كوالها في سعة مضامينها ودقة نظامها وكمال باغتها، وبيان أساليبها.

٢- مفردات القرآن:

إنّ هذا الكتاب من أرواع الكتب التي ألفها الفراهي في تفسير ألفاظ القرآن، وهو أول الكتب الثلاثة التي ألفها لتمهيد الطريق إلى فهم القرآن الريم وتوضيح آياته، والكتاب باللغة العربية بلغة بليغة رائعة بديعة شيقة، وأسلوب جميل رائق جذاب. وطبع الكتاب في المطبعة دار الغرب الإسلامي بيروت عام ١٤٤٤هـ الموافق ٢٠٠٢م.[٥]

والكتاب من أجدر الكتب للوصول إلى فهم مفردات القرآن الكريم والاطلاع على أعماقها بنظرات جديدة وتحقيقات بارعة واستدراكات قيمة على كتب اللغة والتفسير، يبحث فيه الفراهي عن الكلمات المفردة ويكشف عن معانيها

المطلوبة بحيث أن تتضح لها الجدود واللوازم وما يتصل بها وما يفرق عنخا وما يشابها وما يفادها، فيحيط العلم بدلالة الألفاظ المفردة، لأن الفراهي قد رأى أن الخطوة الأولى لتفسير القرآن الكريم المعرفة بالكلمات المفردة، ولزلك أنه قد استدل بدلائل واضحة أن القرآن ليس فيه الغريب من حيث الكلمات، وكذلك كان خاليا من الكلام الغريب الوحشي.

وقد تناول الفراهي أكثر المكلمات المفردة التي قد استعملت في القرآن الكريم، ثم يستدل على آرائه بكلام العرب الجاهلي ومصادره من الشعر والنثر كما أنه يستدل باللغة العبرانية لسرح بعض الكلمات المفردة مثل الأب، والسفرة، والدرس، والإيمان وغير ذلك.[٦]

فعثر الإمام الفراهي على رموز المفردات القرآنية وحقائقها بمواهبه الخاصة من جانب الله تعالى، وقد النكات الرئيسية عن المفردات، ولا شك في أن هذا الكتاب له منزلة رفيعة عند المفسرين.

٣- أساليب القرآن:

وهو كتاب يبحث في وجود الأساليب في القرآن ومفاهيمها ومواقع استعمالها، ودلالة تراكيبها التي تعين على فهم المعنى المراد، وقد طبع المتاب في الهند عام ١١٣٨٩. الدائرة الحميدية.[٧]

هذ المتاب الذي ألفه الفراهي في مضوع أساليب القرآن خاص ما بين الكتب المؤلفة في موضوع القرآن الكريم، لأنه ليس مختصا على المباحث القرآنية، بل يتضمن معظم أساليب كلام العرب.[٨] كما يقول الفراهي:

"هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصا بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب،

غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلا على رسول، وهذا الفن صنو اللغة، والفرق أن اللغة علم مادي خاص، وهذا علم صوري عام، وموقعه بعد النحو، فإنه إتمام له، وهو بالحقيقة ما سمه بفن المعاني، ولكن القوم فاتهم هذا التصميم واختلط عليهم الأمر، فجعلوه جزءا من فن البلاغة، فكان دخيلا غير موفي له الحق، فلو وجدت فن المعاني على سداد أمره واستقصاء مسائله كفيت هذا التجشم".[٩]

دلائل النظام:

وقد شرح الفراهي في هذا الكتاب فكرة النظام في القرآن الكريم، ووضّع أنّ للترتيب والنظام حظا وافرا في كل مركب، ولا سيما في القرآن الحكيم، والذين يزعمون خلاف ذلك فإنهم أخطأوا في زعمهم، ولم ينصفوا كتاب الله. ثم يصرح بعد ذلك بأن القرآن الحكيم كلام منظم، ومرتب من أوله إلى آخره، على غاية حسن النظم والترتيب، وليس فيه شيء من الاقتضاب. لا في آياته ولا في سوره، بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخاتم. وطبع هذا الكتاب في الهند عام ١٤١١هـ ١٠ فقام الشيخ بدر الدين الإصلاحي بجمعه وترتيبه وزين بكلماته الجامعة، كما يقول الشيخ عن هذا الكتاب:

"فاعلم أن هذا الكتاب ليس إلا مجموعا من أفكار الإمام الفراهي فد ابتكرها لكتابه هذا – دلائل – زلكن يتيسر له أن يرتبها، ماعدا عدة فصول توجد في أوائله (١-١٠) فما زاد على ذلك فهو مما كان مبثوثا في مخطوطاته، فجمعته أنا كما وجدته ورتبته حسب ما رأيته مناسبا، فإن أصبت فيه فبتوفيق ربي وإن أخطأت

فمن نفسي، والأستاذ الإمام بري منه"[١١]

وأما موضوع الكتاب فهي معرفة نظم القرآن في معاني الآيات والسور كما يشير الفراهي إليها:

" معرفة النظم في معاني الآيات والسور، هو الموضوع لكتابنا، وأما نظم القرآن من حيث أنه على ترتيب كان في عهد النبي عليه السلام فهو أمر لا يشك فيه إلا من جهل بالتاريخ، فإن السور كلها كانت تقرأ في الصلاة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغ هذا حد التواتر، فإنهم كانوا يقرؤونها في صلواتهم وكانوا يسمعون النبي عليه السلام يقرئها". [١٢]

وأما الغرض والغاية من تأليف هذا الكتاب فيقول المؤلف هذا الصدد:

" الغرض الأصلي من هذا الكتاب، هو الانتفاع بالقرآن تعلمه وتعليمه والعمل به وحث الناس عليه، وذلك سلم إلى نهاية السعادة. وهو الفوز بمرضاة الرب والإيفاء بالعهد الفطري والعبودية والرضى والطمأنينة بها، وبالجملة هو تحقيق الإيمان والإسلام وتكميل الفطرة الإنسانية التي سجدت لها الملائكة، وتلك هي الدرجة العلياء من هذا السلم".[١٣]

إمعان في أقسام القرآن:

وهو من أحسن مؤلفات الفراهي وأهمها، تحدّث فيه عن أقسام القرآن وأنواعه مع الاستشهاد بأبيات العرب الأولين الفصحاء وعرض نماذج في ذلك من بلغاء اليونان القدماء. وهذا كتاب جيد وقيع، يشتمل على بيان أقسام القرآن وإنما تعتبر هذه الأقسام علما من أهم علو القرآن، وأسلوبا من أسير

أساليب البيان في كل لسان.[١٤]

التكميل في أصول التأويل:

ألّف الفراهي هذه الرسالة القيمة لتحقيق هذا الغرض في اللغة العربية، فهذه الرسالة تشتمل على أصور التفسير والتأويل في القرآن الكريم، يبحث فيها الفراهي عن أسس علم التفسير، وأصوله وما يتعلق بها، وهو البحث القيم الذي يساعد الطالب في فهم القرآن وفي تأويل آياته إلى معانيها الصحيحة، ويبين فيها أصولا راسخة مبنية على قواعد اللسان وأساليب القرآن، مما تعين على فهم المعنى المراد بآيات القرآن وترشد في تأويل الآيات إلى معناها الصحيح وتعصم عن الزيغ والانحراف في التفسير والتأويل وتسد أبواب الخلاف في فهم معاني القرآن وتحفظ عن التفسير بالرأي.[١٥]

أسلوبه:

قد شهد القرن التاسع عشر مول كواكب من العلماء والأدباء والكتاب والمفكرين في شبه القارة الهندية. الذين كان لهم دولا هاما في النهضة الفكرية والأدبية العربية الحديثة. ولا تزال نتائجها تتفاعل مع مكونات واقعنا بعد رحيلهم جميعا، ومن بين هؤلاء جميعا يحتل العلامة عبد الحميد الفراهي كمانا بارزا بإبداعاته الرائعة في العلوم القرآنية وتسيره وبإسهاماته القيمة في المجالات اللغوية والأدبية العربية وكان في كل هذا ناجحا وموفقا، سعيدا ومقبولان وأضاف إلى المكتبة العربية ثروة علمية كبيرة وضرب مثالا رائعا للتعمق في البحث والدراسة وللإخلاص في خدمة اللغة العربية وآدابها، فلذلك أنه يعد من أبرز علماء العربية في بلاد هند في بلاد العربية.

أما أسلوبه فهو متصف بالبساطة والسهولة والإفصاح والإبانة والتركيز على

المعنى وإيضاح الفكرة والبعد عن التكرار والاجتناب عن الزخارف اللفظية، فلا يطغى فيه اللفظ على المعنى ولا تعتدي فيه المعاني على اللفظ، بل يتحقق يه التناسب والاتزان بين الشكل والمعنى وهذا الأسلوب التزمه في معظم كتبه الأدبية والنقدية والبلاغة والعلوم القرآنية.

أن العلامة عبد الحميد الفراهي يحتل مكانة مرموقة بين الكتاب والمؤلفين الذين اختاروا اللغة العربية لكتابة في شبه القارة الهندية، ويتسم أسلوبه بوجه عام بالبساطة والسهولة والعد عن التكلف والتكرار، فو من رواد الكتاب الذين أقبلوا على الكتابة في النثر العربي الفهيح المرسل الذي يختلف مثيرا عن النثر المسجوع والأسلوب التقليدي القديم الرائع في زمن حياته، وقد اعترف بهذه الحقيقة الأستاذ الدكتور محمد راد الندوي، فهو يشير إلى مساهمة الفراهي في مجال التصنيف والتأليف في شبه القارة الهندية:

> " على كل حال إن الأستاذ الفراهي هو من الشخصيات الفذة التي رفعت مستوى اللغة العربية كما رفعت مستوى التصنيف والتأليف في الهند بل في العالم العربي كله، فهو بأعماله وآثاره أصبح معجزة للثقافة العربية والدينية، ويبقى خالدا في صفحات تاريخ الفن والأدب".

الهوامش:

١. الترجمة الذاتية للفراهي، مجلة "الضياء" لكهنوء، المجلد ٢، العدد ٧، ١٩٣٣م ص: ٢٦٥
٢. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، لمولانا حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم كره.
٣. مقدمة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص: ٢

٤. نفس المصدر والصفحة نفسها

٥. مفردات القرآن، حميد الدين الفراهي، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢

٦. الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، الدكتور محمد فريد راوين دار الشاكر، ماليزيا، ص: ٥٣

٧. أساليب القرآن، حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، ١٣٨٩

٨. الإمام عبد الجميد الفراهي ومنهجه ف تفسيره "نزام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الدكتور محمد يوسف الشربجي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٥، العدد الثانين ٢٠٠٤

٩. رسائل الغمام الفراهي في علوم القرآن، ص: ١٥٤

١٠. دلائل النظام، حمد الدين الفراهي، دائرة حميدية، ١٤١١هـ

١١. رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، الإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح سراى مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، ص:١٨

١٢. نفس المصدر والصفحة نفسها

١٣. نفس المصدر، ص: ٢٦

١٤. الإمام عبد الجميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلو القرآن، ص: ٥٢

١٥. نفس المصدر

* * *